مظاهر التجديد عند الإمام الزرقاني في علوم القرآن

من خلال كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن

الدكتور إبراهيم بودوخة أستاذ محاضر – ب –

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

aboudoukha39@gmail.com

Dr. Ibrahim Boudoukha

Lecturer "B"

Emir Abdelkader University for Islamic Sciences, Constantine

aboudoukha39@gmail.com

الملخص

يُعدُّ كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني من أفضل ما كُتب في ميدان علوم القرآن وأشهرها بعد كتابي البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي .

حيث تَمَيَّزَ بسهولة لغته وجمال أسلوبه وقوة حجته في الدفاع عن القرآن والقراءات وغيرها من العلوم ذات الصلة بكتاب الله .

فكان الـ" مناهل " منهلاً عظيماً من علوم القرآن ومعانيها ، وتجديداً بارزاً في شرحها وبسط أسرارها ، ومُؤَلَّفًا جامعا في بيان أنواعها و أجزائها .

لقد ألَّف الإمام الزرقاني كتابه مناهل العرفان : لا ليكون مُؤَّلفا عادياً في التعريف بعلوم القرآن وتكرار ذكرها كما فعلَ من سبقوه ، بل جعل كتابه تجديداً لعلوم القرآن ، وإحياءً لمادته ومباحثه بمنهج متجدد يجمع بين العلم والإيمان ، وبأسلوب مشوق فريد يأخذ بالألباب والنفوس .

فكتابُ المناهلِ للإمام الزرقاني تجلت فيه مظاهر مختلفة في تجديد علوم القرآن ،وصور عديدة تثبت انبعاث هذا العلم بطريقة لم يسبِقْ مثلها ، وفي هذه المداخلة بيان وتفصيل لكل ذلك .

The book *Manahil Al-Irfan fi Ulum Al-Qur'an* by Al-Zurqani is considered among the finest and most renowned works written in the field of the Sciences of the Qur'an after the two books *Al-Burhan* by Al-Zarkashi and *Al-Itqan* by Al-Suyuti.

It is distinguished by the clarity of its language, the elegance of its style, and the strength of its argument in defending the Qur'an, the Qur'anic readings, and other sciences related to the Book of Allah.

Thus, *Al-Manahil* was a great fountain from the Sciences of the Qur'an and their meanings, and a prominent renewal in explaining them and expounding their secrets, as well as a comprehensive work in clarifying their types and components.

Imam Al-Zurqani authored his book *Manahil Al-Irfan* not to be an ordinary work introducing the Sciences of the Qur'an and repeating their mention as those before him had done; rather, he made his book a renewal of the Sciences of the Qur'an and a revival of its material and subjects through a renewed methodology that combines knowledge and faith, and through a unique and engaging style that captivates minds and souls.

The book *Al-Manahil* by Imam Al-Zurqani manifested various aspects of renewal in the Sciences of the Qur'an, and numerous forms that demonstrate the revival of this discipline in a manner unprecedented before it.

In this paper, there is clarification and detailed explanation of all that.

التمهيد :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ثم أمَّا بعد :

يُعدُّ كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني من أفضل ما كُتب في ميدان علوم القرآن وأشهرها بعد كتابي البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي .

حيث تَمَيَّزَ بسهولة لغته وجمال أسلوبه وقوة حجته في الدفاع عن القرآن والقراءات وغيرها من العلوم ذات الصلة بكتاب الله .

فكان الـ" مناهل " منهلاً عظيماً من علوم القرآن ومعانيها ، وتجديداً بارزاً في شرحها وبسط أسرارها ، ومُؤَلَّفًا جامعا في بيان أنواعها و أجزائها، ومنهجاً متكاملا في مناصرتها والدفاع عنها ورَدِّ كل الطاعنين عنها.

لقد ألَّف الإمام الزرقاني كتابه مناهل العرفان : لا ليكون مُؤَّلفا عادياً في التعريف بعلوم القرآن وتكرار ذكرها كما فعلَ من سبقوه ، بل جعل كتابه تجديداً لعلوم القرآن ، وإحياءً لمادته ومباحثه بمنهج متجدد يجمع بين العلم والإيمان ، وبأسلوب مشوق فريد يأخذ بالألباب والنفوس .

فكتابُ المناهلِ للإمام الزرقاني تجلت فيه مظاهر مختلفة في تجديد علوم القرآن ،وصور عديدة تثبت انبعاث هذا العلم بمنهج وأسلوب ولغة جديدة لم يسبِقْ مثلها .

وفي هذه المداخلة بيان وتفصيل لبعض تلك المظاهر والصور المجددة لعلوم القرآن :

نَبدأُ وبالله التوفيق ومنهُ السدادُ والعون :

أولاً : تعاريف ومفاهيم

1- مفهوم التجديد :

التجديد من جدَّدَ الشيء : صيَّرَهُ جديداً ، ومنه: جدّد وضوءه، وجدد عهده ، أي أصبح جديداً والمجدّد من جاء بالجديد وأبدع وابتكر[1] .

فلفظُ التجديدِ في اللغة : يدورُ على معاني البعث والإعادة والإحياء ، وقد دلت بعض آيات القرآن عليها ، ومنها قوله تعالى : (أئنا لفي خلقٍ جديدٍ)[2] ، وقوله تعالى : (وقالوا أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثونَ خلقاً جديداً)[3].

وقد ورد لفظ التجديد في السنّة النبوية لفظاً صريحاً ، فعن عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: (إنَّ الله يبعثُ إلى هذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها)[4] .

وقد تنوعت عبارات العلماء في شرح مفهوم التجديد المراد في الحديث ومن أقوالهم :

قال المناوي : (إن الله يبعث: أي يقيض لها .. و يجدد لها دينها أي يُبَيّنُ السنة من البدعة، ويكثر العلمَ، وينصرُ أهلَه، ويكسِرُ أهلَ البدعة ويُذِلُّهم)[5] .

وقال العلقمي : (إحياء ما أندرس من العمل من الكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما)[6] .

والتجديد بهذا المعنى : إحياء ما أندرس من معالم الدين، وبعث ما انطمس من أحكام الشريعة وما ذهب من السنن، وإجلاء ما خفي من العلوم الظاهرة والباطنة .

---

[1] - يُنظر: أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم النشر ، الطبعة الأولى ، السنة : 2008 م : 1/ 348 .
مجموعة من المؤلفين ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، السنة : 1972م : 1/ 109 .

[2] – سورة السجدة الآية : 10 .

[3] – سورة الإسراء الآية : 49 .

[4] –كتاب الفتن ، رقم الحديث : 8805 ، أبو عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، حققه وخرجه وعلّق عليه مجموعة من الأساتذة ،دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى ، السنة : 2018م .

[5] – المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى ، السنة : 1356هـ : 2/ 281 .

[6] – العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، السنة : 1415 هـ : 260/11 .

وهو بهذا المعنى مطلوبٌ ومرغوب ، بل قد يكونُ واجباً على الأمة تفرضِهُ الحاجة الضرورية ، وتحتِّمهُ أحوالُ الناس مسايرةً لواقعهم ، ومعالجةً لمشكلاتهم وقضايا واقعهم وفق نصوص الشرع والدين[1] .

2- مفهوم علوم القرآن : علوم القرآن مركَّب إضافي، مؤلَّف من كلمتين : علوم والقرآن ، وهذا معنى كل منهما :

- **معنى علوم :** ف (علوم) : جمع علم ، والعلم في اللغة ضد الجهل ، قال ابن فارس : (العين واللام والميم أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على أثَرٍ بالشيء يتميَّزُ به عن غيره)[2] .

وفي الاصطلاح معناه : (الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، أو هو صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض، أو هو حصول صورة الشيء في العقل)[3] .

- **معنى القرآن :** فالقرآن مصدر قرأ ، يقالُ : قرأَ يقرأُ قراءةً وقرآناً ، ومن معانيها : الجمعُ والضم ، فكل شيء جمعته فقد قرأته، ولذلك سمي (القرآن) قرآنا؛ لأنه جمع القصص والأمر والنهي والوعد والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض فيضمها [4] .

وفي اصطلاح العلماء فالقرآن هو : الكلام المعجِز المنزَّل على قلب النبيّ صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، والمتعبَّد بتلاوته، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس[5].

- **معنى علوم القرآن** :

وأما تعريف علوم القرآن بالمعنى الإضافي، أي: باعتبار إضافة العلوم إلى هذا الكتاب المنزَّل، فهو عبارة عن جميع المعارف والعلوم المتصلة بالقرآن ، وبذلك يشمل جميع العلوم الشرعية من تفسير وحديث ، أو العلوم اللغوية والتاريخية وغيرها من العلوم التي تعين على فهم معانيه ومقاصده[6] .

---

[1] – يُنظر : عدنان محمد أمامة ، التجديد في الفكر الإسلامي ، دار ابن الجوزي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، السنة 1424 هـ : 18 .

[2] – ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، السنة : 1972م 4/ 109 .

[3] – مرضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المختصين ، دار الهداية ، الكويت ، السنة : 2001م : 33/ 127 .

[4] – يُنظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة 1414 هـ : 1 / 128 .

[5] – محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، حققه واعنى به فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة السنة : 1999م : 1/ 21 .

[6] – محمد بكر إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن ، دار المنار ، الطبعة الثانية ، السنة : 1999م : 12 .

وأما المشتغلين بدراسة القرآن فيقتصرون بحوثهم بالعلوم الوثيقة الصلة بالقرآن لذلك فقد عرفوا علوم القرآن بـ :(علم يضم أبحاثاً كلية هامة، تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى، يمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً)[1] .

ومن هذه الأبحاث والعلوم : نزول القرآن العظيم، وجمعه، وترتيبه، وتدوينه ورسمه في المصاحف، وأسباب نزوله، وأصول ومناهج تفسيره، وشرح غريبه، وإعجازه، وغيرها .

3- مفهوم التجديد في علوم القرآن :

باعتبار ما سبق ذكره :

فالتجديد في علوم القرآن يعني : إحياء ما اندرس من العلوم ذات الصلة بالقرآن ، وإعادة بعثها من جديد بأسلوب جديد ، ومعاني جديدة قريبة من لغة الناس وواقعهم ، وخطاب يعمق الأصول والكليات ، يرد الشبهات ، ويزيل العقبات ويوضح الغامضات وغيرها .

فالتجديد ليس بالضرورة أن يكون على غير مثال سابق ، بل التجديد مصطلح عام وأوسع من ذلك ، قال الحاجي خليفة : (إنَّ التأليف على سبعة أقسام لا يُؤَلِف عالم عاقل إلا فيها، وهي: إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه، أو شيء ناقص يتممه، أو شيء مغلق يشرحه، أو شيء طويل يختصره دون أن يخل بشيء من معانيه، أو شيء متفرق يجمعه، أو شيء مختلط يرتبه، أو شيء أخطأ فيه مصنفه فيصلحه ، وينبغي لكل مؤلف كتاب في فن قد سبق إليه أن لا يخلو كتابه من خمس فوائد: استنباط شيء كان معضلا، أو جمعه إن كان مفرقا، أو شرحه إن كان غامضا، أو حسن نظم وتأليف، أو إسقاط حشو وتطويل ، وشرط في التأليف إتمام الغرض الذي وضع الكتاب لأجله من غير زيادة ولا نقص)[2] .

فالتجديد في علوم القرآن قد يتخذُ أشكالاً عديدة منها :

- اختصار المطولات ، أو جمع المتفرقات .
- ترتيب الأجزاء المختلطة في العلم الواحد ، أو تصحيح مفاهيم أخطاءَ فيها الناس .
- أو شرحُ وبيانُ المغلقات من المصطلحات ، وحل المشكلات وفك المتناقضات .
- أو زيادة بيان واكمال نقصان في علوم وأبحاث لم تكن جليّة بما يلزم .
- أو المقارنةُ بين جهود العلماء القدامى والمحدثين في علوم القرآن والتفريق بين المناهج .
- أو جمعُ علوم القرآن وجزئياته وفروعه من كتب الحديث والتفسير والفقه والأصول وغيرها .
- أو تحقيق كل الأحاديث والنقول المتعلقة بعلوم القرآن وبيان الصحيح والضعيف والموضوع منها .

---

[1] – ابن الجوزي ، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ، حققه حسن ضياء عتر ، دار البشائر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، السنة : 1987م : 71 .

[2] – حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق إكمال إحسان الدين أغلو ، دار إحياء التراث ، بيروت لبنان ، طبعة سنة 1941 م : 1/ 116 .

- أو الرَّدُ على شبهات الطاعنين في القرآن وعلومه ، والوقوف في وجه الحملات التي تنتقص القرآن وما يتعلق به من معارف وعلوم .

ثانياً : التعريفُ بالمؤَّلِف محمد عبد العظيم الزرقاني

الإمام محمد عبد العظيم الزرقاني ، أحد الأعلام البارزين في العلم والدعوة إلى الله تعالى ، حيث سخر حياته وقلمه للدفاع عن القرآن والإسلام ، فكان له الأثر البليغ بين الناس في مصر وغيرها من بلاد المسلمين ، وهذه ترجمة له رحمه الله تعالى

اسمه ومولده :

- هو محمد عبد العظيم الزرقاني ، بظم الزاي وتشديدها : الزُّرقاني ، نسبة إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمركز تلا بمحافظة المنوفية[1]
- لم يُعرف تاريخ محدد لمولده ، ويغلب على الظن أنه ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، حيث ولد في سنة 1368 هـ الموافق 1948 م في قرية (الجعفرية) مركز (السنطة) التابعة لمحافظة الغربية بمصر[2].

حياته العلمية :

- كان رحمه الله تعالى متفوقا في طلبه للعلم ، يتنقل بين المعاهد ، ويرتقي في الدرجات طالبا وأستاذ وإماماً ومدرساً للعديد من العلوم كعلوم القرآن والحديث وغيرهما .
- لقد التحق الشيخ – رحمه الله – بالمعهد الأحمدي بطنطا عام 1911م ثم تخرج من كلية أصول الدين وقد نال العالمية عام 1925م[3].
- عين مدرسا بمعهد الزقازيق عام 1926م ، ثم نقل إلى معهد طنطا ، ثم عُين إماماً ثم نُقل مدرساً بمعهد القاهرة ، ومنه إلى كلية أصول الدين عام 1939 م ، حيث درَّس بها علوم القرآن والحديث بتخصص الدعوة والإرشاد[4] .

---

[1] – خالد بن عثمان السبت ، مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم ، دار ابن عفان للطبع والنشر : 44/1 .

[2] – يُنظر: محمد عبد العظيم الزرقاني ، رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما ، تخريج وتعليق : عبد القادر محمد المهدي ، وزارة الأوقاف الشؤون الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، السنة : 1433هـ : 03 .

[3] – خالد بن عثمان السبت ، مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم : 1/ 44 .

[4] – أسامة الأزهري ، جمهرة أعلام الأزهر ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، طبعة سنة 1440- 2019 : 5/ 109 .

- لقد كان من علماء الأزهر الشريف ، ومن أعلام مصر المدافعين عن حياض الدين يدفعون الشبهات ، ويردون الخصوم ، ويدعون إلى الله على بصيرة .

مؤلفاته :

- لم تكن للإمام الزرقاني تآليف كثيرة لأنه ربما كان منشغِلاً بالدعوة ورد خصوم وشبهات المناوئين كما أشرنا سابقاً ، ومن أشهر مؤلفاته : مناهل العرفان في علوم القرآن .
- ولقد أشار الإمام الزرقاني – رحمه الله – في كتابه مناهل العرفان إلى أن له مؤلفاً سماه : المنهل الحديث في علوم الحديث[1]
- كما أن له بحثاً في الدعوة والإرشاد[2] .
- وله مؤلف في : ' البدع وموقف الإسلام ' فرغ من وضعه سنة 1362هـ وقد وضعه للمتخصصين في الدعوة والإرشاد بكلية أصول الدين في الأزهر ويوجد منه نسخة في مجلد مطبوع سنة 1362هـ في المكتبة الأزهرية[3] .
- إنَّ من يقف على هذه الكتب مع قلتها ليجد صاحبها الزرقاني مجاهداً بلسانه ، مكافحاً بقلمه وقلبه للدفاع عن القرآن والسنة ودعوة الحق ، ففي كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن كان الشيخ : سيفاً شديداً على الطاعنين في الدين من المستشرقين والمستغربين ، وفي كتابه : ' رسالة البدع وموقف الإسلام ' منها كانت للإمامِ غيرةٌ وعاطفةٌ على هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسنته ، وغضبةٌ من كلِّ ابتداع وما فيه خروجٌ على تعاليم الدين ، وفي كتاب ' منهل الحديث 'دفاعٌ عن السنة النبوية وعن ناقليها من الصحابة والتابعين والأعلام الكبار[4] .

وفاته :

- توفي الإمام الزرقاني– رحمه الله تعالى – سنة 1367هـ[5]. .

ثالثاً : التعريف المُؤَلَّف : كتاب مناهل العرفان

---

[1] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 2/ 241 .

[2] – الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة 15 ، السنة : 2002 : 6/ 210 .

[3] – خالد السبت ، مناهل العرفان دراسة وتقويم : 48 .

[4] – رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما محمد عبد العظيم الزرقاني ، تخريج وتعليق عبد القادر محمد المهدي ، مكتبة الكويت الوطنية ، دولة الكتب ، الطبعة الأولى ، سنة 1433 هـ : 18 .

[5] – الأعلام للزركلي : 6/ 201 .

يُعدُّ كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للإمام محمد عبد العظيم الزرقاني من أشهر الكتب الجامعة لعلوم القرآن في العصر الحديث ، حيث تميز الكتاب بشموليته لكل موضوعات علوم القرآن وحسن عرضها وبسطها مع سهولة في العبارة والأسلوب ، فكان الكتاب مفيدا للطلاب والمختصين وجميع أفراد المجتمع .

وفي مايلي تعريف بالكتاب :

اسم الكتاب ، وسبب تأليفه

- جاء الكتاب باسم : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، كما ورد في مقدمته على طريقة أغلب المؤلفين[1] وفي اختيار كلمات عنوان الكتاب معاني قصد المؤلف منها : فالمناهل مفردها منهل الذي هو مورد الماء ، وقصد : أن يجعل كتابه موارد واضحة وسهلة يستقي منها طالب العلم علوم القرآن ويرتوي من فهمه ومعانيه[2] .

  كما يلاحظ أن الزُّرقاني قد أحسن وأبدع في اختيار عنوان كتابه بكلمات سهلة ومعاني عميقة كاشفة عن هدف مؤلفه، وقد قيل أنَّ : (عنوان الشيء: ظاهره الذي يدلُّ على باطنه إجمالاً، وكذلك علوانه)[3].

  كما تميّز العنوان ببلاغة واضحة ، ولمسة لغوية جميلة وتقارب صوتي يأخذ بالأسماع (بين العرفان والقرآن) وينبه العقول والنفوس ، ويدفع للنظر والبحث .

  كما أن في اختيار عنوانه : **مناهل العرفان في علوم القرآن** لم يكن بعيداً عن مسلك المتقدمين من العلماء في علوم القرآن ، فكان كتابه تذكير بمن سبقوه من أمثال الإتقان والبرهان .

- وقد صرّح المؤلف عن سبب تأليف كتابه فقال : (فهذا كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن. كتبته تحقيقاً لرغبة طلابي المتخصصين في الدعوة والإرشاد من كلية أصول الدين بالجامعة الأزهرية)[4] .

منهج المؤلف في الكتاب ، وأهم المباحث فيه

- منهج المؤلف في الكتاب : مَسلكُ الزرقاني في المناهل يمكن حصره في النقاط التالية :

  1 – اختار المؤلف رحمه الله أهمَّ أنواع ومباحث علوم القرآن وأكثرها فائدة وأهمية .

---

[1] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1/ 11 .

[2] – مناهل : جمع منهل ، ويُراد به في اللغة :المشرب أو المورد ، هي عين الماء ترده الإبل في المراعي ، ومنه قيل : مناهل العلم أي مصادره انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، السنة : 1414هـ : 11/ 681 .و أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، السنة : 2008م : 3/ 2296 .

[3] – حاجي خليفة ، كشف الظنون : 5/ 41 .

[4] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1/ 11 .

2- يُعنى ببيان معنى العنوان الذي وضعه للمبحث ، إذا كان الأمر يتطلب ذلك ، مثل ما فعل في مبحث المكي والمدني في القرآن[1] .

3- يذكر خلاف أهل العلم في المسألة ، مع عرض الأدلة ومناقشتها ، ويختم بالقول الراجح .

4 – العمل على إبراز أسرار التشريع وحِكمه ، كحديثه عن الحكمة من النسخ ، والحكمة من نزول القرآن منجما[2] .

5 – يختم المباحث بخاتمة موجزة أو كلمة في المبحث ، أو تعقيب .

6 – إيراد الشبهات والمشكلات المثارة حول القرآن وعلوم القرآن ، ثم يرد تلك الشبهات بما أوتي من أدلة نقلية وعقلية .

7 – من منهجه ضرب الأمثلة المناسبة لبعض المباحث بغية تقريب الفهم والاستيعاب واستنتاج الفوائد المتعلقة بكل مسألة لتسهيل ذلك على القارئين[3] .

- أهمّ مباحث الكتاب : عقد الإمام الزرقاني في كتابه سبعة عشر مبحثا لأهم أنواع ومباحث علوم القرآن ، ويجعل تحت كل مبحث عناوين فرعية لكل مسائله ، وأهم هذه المباحث هي :

المبحث الأول : في معنى علوم القرآن .

المبحث الثاني : في تاريخ علوم القرآن وظهور اصطلاحه .

المبحث الثالث : نزول القرآن .

المبحث الرابع : في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن .

المبحث الخامس : في أسباب النزول .

المبحث السادس : في نزول القرآن على سبعة أحرف .

المبحث السابع : في المكي والمدني من القرآن الكريم .

المبحث الثامن : في جمع القرآن وتاريخه والرج على ما يثار من شبه ونماذج من الروايات الواردة في ذلك .

المبحث التاسع : في ترتيب آيات القرآن وسوره .

المبحث العاشر : في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه وما يتعلق بذلك .

المبحث الحادي عشر : في القراءات والقراء والشبهات التي أثيرت في هذا المقام .

المبحث الثاني عشر : في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما .

المبحث الثالث عشر : في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلا .

---

[1] – المرجع السابق ، مناهل العرفان : 1/ 193 .

[2] – المرجع نفسه : 1/ 53 – 1/ 194 .

[3] – خالد السبت ، مناهل العرفان دراسة وتقويم : 1/ 81 .

المبحث الرابع عشر : في النسخ .

المبحث الخامس عشر : في محكم القرآن ومتشابهه .

المبحث السادس عشر : في أسلوب القرآن الكريم .

المبحث السابع عشر : في إعجاز القرآن وما يتعلق به .

وللإمام الزرقاني إضافات في كتابه : مناهل العرفان لم يطرق إليها من قبله الزركشي ولا السيوطي في كتابهما البرهان والإتقان[1] ، فقد أضاف المباحث التالية :

- المبحث الأول : في معنى علوم القرآن .
- المبحث الثاني : في تاريخ علوم القرآن وظهور اصطلاحه .
- المبحث الثالث عشر : في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلا .
- المبحث السادس عشر : في أسلوب القرآن الكريم .

ثناء العلماء على الكتاب ، ومزاياه

ثناء العلماء على الكتاب

لقد أثنى العديد من العلماء والباحثين على مناهل العرفان لما يتميز به من مادة علمية غزيرة ، وأسلوب عصري يناسب الطلاب ، مع سهولة في العبارة وحسن عرض وترتيب للموضوعات والمباحث ، واختارُ من أقوالهم ثلاثة :

يقول خالد السبت عن المناهل : (وكان كتاب "مناهل العرفان" من أهم وأشمل ما كُتب في هذا الموضوع، حيث إنَّ مؤلفه تعرض فيه لأهم مباحث هذا العلم وأكثرها فائدة، كما قام بدمج الموضوعات والأنواع المتشابهة في مبحث واحد، ولم يفرقها كما فعل غيره، مع صياغته لعبارة هذا الكتاب بأسلوب رفيع، ودملجة محكمة، في الوقت الّذي جمع فيه مادته العلمية من مؤلفات كثيرة ومتنوعة، تزيد على المائة . حسب عزو المؤلف إليها . ولم يكن نقل المؤلف واستفادته منها مقتصراً على بعض دون بعض.

ومع استفادة المؤلف من كلام غيره من أهل العلم إلا أنَّ ذلك لم يحوله إلى مجرد ناقل لما يكتبون، بل له أسلوبه الخاص، ومنهجه المستقل في البحث والنّظر، مع كون بعض مباحث هذا الكتاب تُعَدُّ إعادة صياغة لما كتبه السُّيوطي في الإتقان.

لكنَّ ذلك ليس بغالب على الكتاب ولله الحمد، فإنَّ فيه مباحث ومسائل هامة، بل مباحث كاملة زائدة على البرهان للزركشي، والإتقان للسيوطي، الأمر الّذي جعل من الكتاب مرجعاً مهماً يستقي منه من جاء بعد مؤلفه، ممَّن أراد التأليف في هذا الفن)[2] .

---

[1] – خالد السبت ، مناهل العرفان دراسة وتقويم 1/ 80 .

[2] – خالد السبت ، مناهل العرفان دراسة وتقويم : 2/ 441- 442

ويقول فهد الرومي : (وهو بحق من أفضل المؤلفات في هذا العلم، فهو إضافة إلى اشتماله على كثير من علوم القرآن، فقد اعتنى صاحبه بالرد على الشبهات الواردة في كل علم قديمًا أو حديثًا، وهو حين يوردها يسوق حججها وبراهينها ثم يكر عليها فلا يبقى لها أثرًا، وإضافة إلى هذا فإنه يقدم هذه العلوم بأسلوب أدبي يشدك إليه شدًّا حتى لتحسب نفسك -وأنت تخوض عويص القضايا- تقرأ قطعة أدبية)[1] .

ويقول محمد بستان : (والذي يعنينا في هذا المقام هو تحديث الأسلوب في دراسة علوم القرآن فنجد أمامنا كتاب: (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ الدكتور/ محمد عبد العظيم الزرقاني فقد جَلَّى هذا العلم وأظهره وجدد أسلوبه وهو جيد في الاعتماد عليه مرجعاً لإعداد البحوث الخاصة بالبرامج الإعلامية وإن كان في بعض الأحيان عالي الأسلوب إلا أن هذه مهمة العلماء المتخصصين في علوم القرآن أن يبسطوا أسلوبه ويجعلوه في متناول السامعين والمشاهدين والمتابعين على الإنترنت)[2] .

مزايا الكتاب :

لكتاب مناهل العرفان في علوم القرآن مميزات عديدة رفعت من قدره ، وعظمت من شأنه ، وفضلته على غيره من المصنفات ، ومن مزاياه[3] :

1- استيفاؤهُ واشتماله على أكثر مباحث علوم القرآن ومسائله ، وبخاصة لطالب العلم .

2- حسن عرضه للمسائل العلمية ، وجودة ترتيبه وتبويبه وتفصيله ، حيث روعي في تأليفه المنهج الأكاديمي لأنه موضوع لطلاب الجامعة الأزهرية[4] .

3- استخدام أساليب التشويق وضرب الأمثلة الحسية المناسبة في أكثر البحوث حتى يوضح القضايا المعنوية لتصبح أقرب إلى التصور والاستيعاب والفهم .

4- وضوح أسلوبه وسلامة عباراته ، فقد حاول المؤلف – رحمه الله – أن يمزج بين الصياغة الإنشائية الأدبية وبين المصطلحات العلمية التخصصية الدقيقة .

5- استقصاء الشبهات حول القرآن والرد عليها .

---

[1] – فهد الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، الطبعة 12 ، السنة : 2003 : 44 .

[2] – محمد حسن محمد بستان ، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام ، ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة : 45 .

[3] – يُنظر : الطالب الطاهر شرقي ، اختيارات الزرقاني وترجيحاته في علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن (الجزء الأول) ، ماستر في التفسير وعلوم القرآن ، ، معهد العلوم الإسلامية بجامعة حمة لخضر بالوادي سنة : 2015م- 2016م : 22 . وكذلك : الطالبة زينة مرغني ، : اختيارات الزرقاني وترجيحاته في علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن (الجزء الثاني) ، ماستر في التفسير وعلوم القرآن ، معهد العلوم الإسلامية بجامعة حمة لخضر بالوادي ، سنة 2016م- 2017م : 10 .

[4] – الزرقاني مناهل العرفان : 1/ 11 .

6- اعتزازه الشديد بعلمائنا الكرام ، ومؤلفاتهم ، وبيانه لجهودهم العلمية العظيمة ، وعقولهم الجبارة في نقل هذا العلم ، وتطويره ، والابتكار ، والإبداع فيه.

7- هدَف المؤلف في كتابه إلى الاتصال الديني بالجماهير فيحاول الربط المستمر بين الدين والمعارف الأخرى ، بالإضافة إلى بيان أسرار التشريع وحِكمه[1].

8- أضاف الإمام الزرقاني مباحث لم يتطرق إليها الزركشي ولا السيوطي[2] .

رابعاً : مظاهر التجديد عند عبد العظيم الزرقاني

قبل الحديث عن بعض مظاهر التجديد عند الإمام الزرقاني من خلال كتابه مناهل العرفان ، والوقوف على هذه المظاهر مظهراً مظهراً ، لا بد من الإشارة إلى أمرين إثنين هما :

- التجديد عند الإمام الزرقاني
- الذين قالوا بالتجديد عند الإمام الزرقاني

1- التجديد عند الإمام الزرقاني :

من خلال النظر فيما كتبه الإمام الزرقاني في كتاب مناهل العرفان أو غيره فإننا لا نجدُ نصاً صريحاً يدلل مباشرة على رأيه في التجديد أو في أي معنى من معانيه ، إلا من جاء في معرض حديثه عن اقتراح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي بكر الصديق رضي الله عنه لجمع القرآن وقد تردد الصديق أول الأمر مخافة أن يجره التجديد إلى التبديل أو الابتداع ، وأنَّ أبابكر أدرك وجه المصلحة وشرح الله لها صدره ، وعلم أنها وسيلة من أعظم الوسائل النافعة ، وليست من محدثات الأمور الخارجة ولا من البدع[3] .

والإمام الزرقاني صرّح بأن لم يأت بعلم جديد في هذا الباب ، ولم يخترع علوما جديدةً لم يسبق إليها غيره ، وإنما كان حرصه واجتهاده في فهمها وحسن عرضها من جديد ، يقول رحمه الله :(على أنني في هذه المحاولة لا أدعي أنني أنشأت وابتكرت ولا أحدثت وابتدعت. بل قصاراي أنني فهمت وأحسنت العرض إذا كنت قد وفقت. أما المادة نفسها فالفضل فيها لعلماء هذه الأمة الذين أبلوا في جمعها بلاء حسنا ولم يخرجوا من الدنيا إلا بعد أن شقوا لنا الطريق وقربوا البعيد وجمعوا الشتيت وتركوا من خلفهم ثروة علمية هائلة وكنوزا ثقافية زاخرة لا يوجد مثلها ولا قريب منها في أية أمة من أمم الأرض إلى يوم الناس هذا)[4] .

---

[1] – خالد السبت ، مناهل العرفان دراسة وتقويم : 1/ 107 .

[2] – المرجع السابق مناهل العرفان دراسة وتقويم : 1/ 107

[3] – يُنظر : الزرقاني ، مناهل العرفان : 204/1 .

[4] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1/ 8 .

يرى الإمام الزرقاني أن الأولى في العمل : أن نحسن العمل على هذه التركة – التركة العلمية بما فيها علوم القرآن – يقول : (وأعتقد أننا لو أحسنا القيام على هذه التركة لكان لنا شأن غير هذا الشأن ومكانة وسلطان لا يدانيهما مكانة ولا سلطان)[1] .

ومع ذلك فإن جهود الإمام في المناهل تشير إلى أنّه كان يحمل روح التجديد ، حيث أحيا علوم القرآن بأسلوب إيماني دعوي تربوي لم يسبق مثله ، وبمنهج يجمع بين الدفاع عن القرآن وعلوم القرآن خالف به من سبقوه ممن كتبوا في هذا الفن .

لقد عاش الإمام الزرقاني في زمن كانت فيه الحملة على الإسلام شرسة من جبهات عديدة من العلمانيين والمستشرقين من جهة ، وتَدَّينٍ ضعيف أمات كل حياة وقتل كل مبادرة في نفوس الناس وواقعهم .

فما كان من الإمام إلى أن حمل لواء الدفاع عن القرآن انطلاقا من علوم القرآن التي كانت تخصصه وفنه الذي برع فيه .

لقد كان كلُّ "عنوان " في مناهل العرفان ، وكلُّ مبحث من مباحثه : كالقرآن ، والوحي ، والسنة ، والصحابة ، والنسخ ، والإعجاز ، والترجمة ...روحاً من الإيمان تسري في نفس القارئ ، وعلما نافعا معبأً بحب الدين والدفاع عنه ، وعاطفة إيمانية تأخذ بالقلوب والأرواح.

لم يجعل موضوعات الكتاب مادة علمية مجردة جافة من كل معاني الحياة ، بعيدة عن هدايات القرآن تستكفي بوضع القواعد ، وتحقيق النصوص ونقلها دون روح وعاطفة تؤمن بها وتضحي في سبيلها .

ذلك هو معنى التجديد عمليا عند الإمام الزرقاني : إحياء النفوس من خلال الدفاع عن القرآن وعلوم القرآن ، وجعل من : علوم القرآن منبراً وميدانا للدفاع عن القرآن والإسلام .

ولهذا المنهج أصل من حديث النبي صلى الله عليه وسلم : (من سن سنة حسنة فله أجرها أجر من عمل بها إلى يوم القيامة)[2] ، وقد رغّب العلماء إلى استحداث الأمور الحسنة ، والطرائق النافعة التي تخدم الدين[3] .

2- الذين قالوا بالتجديد عند الإمام الزرقاني

---

[1] – المرجع السابق : 1/ 8 .

[2] – صحيح مسلم ، كتاب العلم ، باب من سن سنة حسنة ، رقم الحديث : 1017 .

[3] – النووي ، المنهاج (شرح صحيح مسلم بن حجاج) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، السنة : 1392 هـ : 16/ 226 .

لقد اهتم عدد من العلماء والدراسين بجهود الإمام الزرقاني في المناهل ، فأثنوا على جهده وعظموه في فعله وأسلوبه ، رأى بعضهم أنه كان مجددا في أسلوبه وعرضه للعلوم القرآن ، وأنّ كتابه من أحسن ما كتب في مرحلة ما بعد (الإتقان) للسيوطي :

قال مساعد الطيار في كتابه المحرر : (ومن أهم الكتب المعاصرة كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، وقد ألَّفه لطلاب الدعوة والإرشاد في كليات الأزهر ، وقد تميَّز هذا الكتاب : بحسن العرض، وترتيب المعلومات، والأسلوب الأدبي الرشيق في عرض المادة العلمية، والاعتناء بالرد على شبه المستشرقين)[1].

وقال صاحب كتاب : العناية بالقرآن وعلومه : (وأود أن أشيد هنا ببعض تلك البحوث والكتابات التي كانت جادَّة في معالجتها، قوية في مضامينها، رائدة في بابها، حملت لطلبة العلم نظرات علمية فاحصة، يشهد المرء لكاتبها بعمق التفكير، وسلامة الاختيار، وقوة الدليل وصحته، فيسلم لكثير من ترجيحاتهم، وتهدأ النفس لأدلتهم وطريقة معاجلتهم، ولهذا ذاع صيتها وانتشرت بين طلبة العلم حتى صنفت في مستوى أمهات المؤلفات. وخير مثال نقدمه هنا هو كتاب "مناهل العرفان" للأستاذ عبد العظيم الزرقاني)[2] .

وقال الدكتور محمد سبتان : (والذي يعنينا في هذا المقام هو تحديث الأسلوب في دراسة علوم القرآن فنجد أمامنا كتاب: (مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ الدكتور/ محمد عبد العظيم الزرقاني فقد جَلَّى هذا العلم وأظهره وجدد أسلوبه وهو جيد في الاعتماد عليه مرجعاً لإعداد البحوث الخاصة بالبرامج الإعلامية وإن كان في بعض الأحيان عالي الأسلوب إلا أن هذه مهمة العلماء المتخصصين في علوم القرآن أن يبسطوا أسلوبه ويجعلوه في متناول السامعين والمشاهدين والمتابعين على الإنترنت)[3] .

3- من مظاهر التجديد عند الإمام الزرقاني

تعددت كلمات الباحثين والدارسين وتنوعت في الثناء والتقدير لجهود الإمام الزرقاني في كتابه المناهل ، والإشادة بما تميز به المؤلف من أسلوب جديد، وحسن عرض وترتيب ، وصياغة حديثة لعلوم القرآن .

والإمام الزرقاني لم يكن مجددا في علوم القرآن بالمعنى الحرفي للتجديد : فأتى بما لم يأت به من سبقوه من العلماء المؤلفين ، من فهوم ومباحث وغيرها .

---

[1] – مساعد الطيار ، المحرر في علوم القرآن ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، الطبعة ، الطبعة الثانية ، السنة : 2008 م : 48 .

[2] – نبيل آل إسماعيل ، العناية بالقرآن وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة : 93 .

[3] – المرجع السابق ، محمد بستان ، تقويم أساليب تعليم القرآن : 45 .

وإنما كان تجديده في طريقة عرض مادة علوم القرآن ، وصياغة أسلوبها ، وجمع مادتها وإعادة ترتيبها وتبويبها ، وهذا الجهد لا شك كان مميزا وشاهدا في المناهل ، واضحا وجلياً في العديد من موضوعات ومباحث الكتاب ، فقد كتاباً حافلاً واسع المحتوى، عذب الأسلوب كما قال نور الدين عتر[1] .

وسنحاول في ختام هذا البحث الوقوف على بعض من مظاهر التجديد عند الشيخ الزرقاني من خلال كتابه المناهل ، وهي كالتالي :

- **التجديد في عرض مادة علوم القرآن :** لقد تميز منهج الإمام الزرقاني في عرض مباحث علوم القرآن بمجموعة من الخصائص ، كانت حقيقة تحمل في طياتها إشارات التجديد والبعث لعلوم القرآن بأسلوب لم يسبق مثله ، ومن هذه الخصائص :

– طريقة العرض : سلك الإمام الزرقاني في عرضه بمادة الكتاب مسلكا واحدا غالبا في كل المباحث حيث يبدأ بالتعريف لغة واصطلاحا ، ثم يعرض الأقسام والأنواع ، ويضبط الفوارق بين المصطلحات ، ويدلل على كلامه بنصوص من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة السابقين .

وإذا وجد جزئيةً من المبحث فيها معارضة وقف عندها ، وفصَّل فيها القول ، وذكر أقوال المخالفين ومذاهبهم وأدلتهم ، ثم قدم الرأي الراجح .

– الأسلوب المشوق : استعمل الإمام الزرقاني في كتابه المناهل أسلوبا أدبيا رائعا ، وخطابا مشوقا ، يجعل القارئ يتعلق بالمكتوب ، وينساق إليه متابعة وملازمة حتى استكماله ، فلم يكن أسلوب الكتابة جافا ، بل اعتنى بالأسلوب الحي الذي يتفاعل فيه مع القارئ فمثلا : من أسلوبه المشوِّق قوله : (ولئن صح أن يقال هذا في أديان قاصرة عن الوفاء بحاجات الإنسانية في مناحي الإصلاح البشري فما كان يصح أن يقال هذا في دين الإسلام)[2] .

يخاطب القارئ بعبارات كأنه جلسيه في تلك اللحظة يقول له : أتظن أيها القارئ .. وفي موضع يقول له : قل لي بربك .. وفي موضع ثالث : ونظير ذلك أيها القارئ أن يكون لك أصدقاء .. وغيرها من العبارات يستعمل أسلوب السؤال والجواب ، وهو أسلوب عظيم التأثير في النفوس ، ويستعمل أسلوب المقارنات والبرهان وغيرها ، وهي أساليب تشويق وإثارة عند طلاب العلم خاصة ، يقص القصص ويعلق عليها ، ويستبط الفوائد ، ويقدر قدرها .

فهذه وغيرها كثير مما امتاز به الإمام الزرقاني في تأليف مناهل العرفان حتى جعل العامة والخاصة يقبلون عليه ويختارونه من بين تآليف كثيرة .

---

[1] – يُنظر : نور الدين عتر ، علوم القرآن ، مطبعة الصباح ، دمشق ، الطبعة الأولى ، السنة : 1993 : 09 .

[2] - الزرقاني ، مناهل العرفان :1/ 9 .

- اللغة السهلة : من مظاهر التجديد عند الإمام الزرقاني أنّه قدم علوم القرآن – وهي من العلوم القديمة – قدمها بلغة سهلة ميسرة بعيدة أي مصطلحات معقدة ، أو عبارات غامضة .

ولقد أدرك الإمام الزرقاني أنّ زمانه خفّ فيه العلم ، وضعُفت فيه الهمم ، وقل الاهتمام باللغة العربية الفصيحة كما كانت عند الأُوَل ، وأدرك أيضا أن إيصال العلوم الشرعية خاصة للناس لا بد من تيسير لغتها ، وتسهيل ألفاظها ، واختصار عباراتها .

لذلك حرص أن يكون كتابه : بلغة ميّسرةٌ فهمها وهضمها للقراء من أبناء هذا الجيل سواء منهم الأزهري والمثقف ، لأن لكل زمان لغة ولسانا ومنطقا وبرهانا كما أشار في مقدمة الكتاب[1].

- حُسن الترتيب : تميّز الإمام الزرقاني في استعراضه لمادة ومباحث علوم القرآن بميزة قد لا تجدها عند من سبقوه أو من عاصروه وهي : حُسن ترتيب علوم القرآن

فيجمع الموضوع أو الباب من علوم القرآن بجزئياته وكلياته وفروعه في المبحث الواحد ولا يتكرر في موضع آخر ، فكل ما يتعلق بعلم القراءات رواية ودراية وأئمة قد جمعه في باب القراءات والقراء والشبهات المثارة حولها[2] ، ولا يكرر الحديث عنها في موضع آخر إلا نادراً أو حديثا عارضاً .

ومن حُسن الترتيب الذي تميز به في خطة الكتاب أنه رتب موضوعات الكتاب ترتيبا عقليا ومنطقيا وعلميا وتربويا فبدأ بالحديث عن إثبات القرآن ونشأته وما يتعلق بجمع ومصاحفه وغيرها[3] ، ثم ثنّى بالحديث عن كلماته أدائه وقراءاته وكل ما يتعلق بكفيات القراءة[4] ، ثم ثلّث قسم المعاني والدلالات والتفسير وكل ما له علاقة بهذا الباب[5] ، وهذا ابداع عجيب من الإمام.

ومن حسن الترتيب أيضا : ترتيب المفردات في الموضوع الواحد : فقد يجعل تمهيدا للموضوع ، ثم التعريف مثلا : تعريف الوحي ، ثم أنواعه ، ثم كيفياته ، ثم نزول القرآن ، ثم الشبهات المثارة[6] وهكذا .

- **التجديد في منهج تعليم علوم القرآن : ويتمثل في العناصر التالية :**

- الدفاع عن القرآن من خلال علوم القرآن :

الناظر في كتاب مناهل العرفان والمتتبع لموضوعات ومباحثه السبعةَ عشر يتأكد عنده أنَّ الإمام الزرقاني كان يخوض حربا شرسة ضد الطاعنين والمنكرين والمشككين في القرآن

---

[1] – الزرقاني ، مناهل العرفان :1/ 8 .

[2] – الزرقاني ، مناهل العرفان : من 336 إلى 365 .

[3] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1/ 14 .

[4] – الزرقاني ، مناهل العرفان :1/ 336 .

[5] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 2/ 06 .

[6] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 54/1 .

لقد فَقِهَ واقعه وعرف عدوه وتيقن عنده أن كل هذه الأصناف والفئات المعادية توحدت في هدفها : الطعن في القرآن ، وتعددت وسائلها وأساليبها : فاتخذ كل صنف موضوعا من موضوعات القرآن ليشارك في حرب الإسلام ، حتى أنه يصف هذه الحرف فيقول :

(هذه الحرب الضروس الطاحنة التي طغت وبغت وطمت وعمت حتى لم ينج من شرها شرق ولا غرب ولا ضيق ولا رحب بل قعدت للناس بكل صراط وأثرت في جميع المرافق)[1] .

عندها أدرك الإمام : أن الدفاع عن القرآن إنما يكون بالدفاع عن كل علوم ومباحث القرآن ، وهذا فهم عميق من الإمام ، ووعي ثاقب لحرب الأعداء على القرآن والإسلام

لذلك كان يكثر من الردود والمناقشات ، وعرض النُّقول والمقارنات بالكتب السابقة من الانجيل والتوراة ، ويستفيد من الأدلة النقلية والعقلية والتاريخية كل دفاعا عن القرآن وعلومه .

لا يمل ولا يكل ولا يتردد في دحض مناهج الغربيين ، وإسقاط حجج الطاعنين ، ورد الشبهات والافتراءات في كل باب من أبواب علوم القرآن ، وفي كل جزئية يؤتى القرآن من قبلها تجد الإمام يقف لها بالمرصاد والدليل والبرهان .

لم يكن منهجه في الدفاع عن القرآن ، منهج الخطب العامة ، أو مسلك الشعارات العاطفية ، وإنما كان منهجه منهج العظماء في نصرة الحق ، ومواجهة الأعداء ، وتربية الأمة على العلم الصحيح الذي يشرح الصدور ويثبت الأقدام .

- المزج بين العلم والعاطفة الإيمانية :

من المظاهر الجلية عند الإمام الزرقاني وهي تحمل إشارات التجديد في علوم القرآن : أنه يكتب بلغة المحب للقرآن ، ويدافع عن كتاب الله ليس بالحروف والكلمات فحسب بل بقلبه وروحه.

فهو لا يخاطب الناس بلغة باردة جافة ، أو عاطفة عاطلة خائرة بل كان يكتب متحمسا يمتلأ إيمانا ويقينا .

لقد ألف كتاب المناهل بهذا الغرض ، فيقول أريدُ : (أن أنفخ الروح من بوق هذا الكتاب في الكرام القارئين لا سيما طلابي الأعزاء الذين هم على وشك النزول إلى ميادين الدعوة والإرشاد فأوقظ همما أخاف أن تكون قد نامت وأحيي عزائم معاذ الله أن تكون قد ماتت ، والروح هي كل شيء هي القوة الدافعة وهي الحياة الرائعة والروح الصحيحة)[2] .

تأمل جيّداً ، وهو يتحدث عن تنزل القرآن إلى اللوح المحفوظ : يقول : (وكان هذا الوجود في اللوح بطريقة وفي وقت لا يعلمهما إلا الله تعالى ومن أطلعه على غيبه .. ولا ريب أن الإيمان به يقوي إيمان العبد

---

[1] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 7/1 .

[2] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1/ 9 .

بربه من هذه النواحي ويبعث الطمأنينة إلى نفسه والثقة بكل ما يظهره الله لخلقه من ألوان هدايته)[1] ، بلغة الإيمان ، والحب للدين ، واستشعار الأمانة بين يدي الله .

يتحدث عن الصحابة رضوان الله عليهم ويصفهم بأنهم جبهة الدفاع عن القرآن والإسلام فيقول عنهم مثلا : (وهم الذين بذلوا نفوسهم ونفائسهم رخيصة في سبيل رضاه وهم الذين باعوا الدنيا بما فيها يبتغون فضلا من الله وهم الذين حملوا هداية الإسلام إلى الشرق والغرب وأتوا بالعجب العجاب في نجاح الدعوة الإسلامية)[2] .

نعم هكذا حديثه عن الصحابة في مبحث جمع القرآن .

- التنويه بالمقاصد والحِكم والفوائد :

تميل النفوس إلى معرفة الأسرار ، وكشف جوانب الإعجاز في حكم من الاحكام أو أي مسألة من مسائله. والإمام الزرقاني لم يغفل هذا الجانب في كتابه ، فالعديد من مباحث الكتاب فيها بسط لباب أسرارها ومقاصدها وتعديد فوائدها

فيتحدث عن أسباب النزول ويعقب بالحكمة منها[3] ، ويفصل القول في فوائد تعدد القراءات القرآنية[4] ، وفَعلَ التَّنويه نفسه مع المكي والمدني والنسخ وغيرها من الموضوعات.

والغرضُ من ذلك تعميق فهم القرآن لطلاب العلم ، وزيادة الإيمان واليقين به ، والتعامل معها كحقائق ربانية وإيمانية وليست روايات تاريخية .

يقول رحمة الله عليه : (ليعلم من لم يكن يعلم أن هذا الدين هو حاجة الإنسانية ، ودواء البشرية ، وكمال الفرد ، وصلاح الجماعة ، ولتنقطع أنفاس تلك الدعاية الضالة دعاية فصل الدين عن السياسة والثقافة الدينية عن الثقافة المدنية ، وقوانين العدل ودساتير الحكم عن مقررات العقيدة وشعائر العبادة وهي أخبث الدعوات وأفسقها فيما نعلم!)[5] .

- **التجديد في ربط علوم القرآن بواقع الناس**

من مظاهر التجديد عند الإمام الزرقاني يربط الصلة بين علوم القرآن وواقع الناس لأنه يعلم أن القرآن ما نزل إلاَّ ليصلح أحوال الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور ،

---

[1] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 39/1 .

[2] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1/ 239 .

[3] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 91/1 .

[4] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 1 /125 .

[5] - الزرقاني ، مناهل العرفان : 1 /8-9 .

فيربط ويقارن بين حال مرغوب مطلوب ، وبين حال واقع لا بد من إصلاحه وتغييره ، ففي معرض حديثه عن فضل التفسير والحاجة إليه ، وقد تحدث عن عظيم الفوائد والكنوز التي يخرجها المفسر المتدبر لكتاب الله ، يقول بعدها ويحاكي الواقع :(وهنا تلمح السر في تأخر مسلمة هذا الزمن على رغم وفرة المصاحف في أيديهم ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم وعلى رغم كثرة عددهم واتساع بلادهم في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحا مدهشا كان وما زال موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد وضيق من الأرض وخشونة من العيش ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة.

أجل إن السر في ذلك هو أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته ..)[1] .

والغرض من هذا البسط : أن يصلح أحوال ويبدل عاداتهم التي طبعوا عليها ، وهي بعيدة عن مقاصد الدين و حال أهل الزمان الأول من النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه .

لقد اتخذ الإمام الزرقاني مباحث علوم القرآن أبوابا يلج بها إلى واقع الناس ، فيكشف ما فيه من مستجدات علمية : فيتحدث مثلا عن معجزات يكشف عنها الطب الحديث في علاج الصوم للعديد من الأمراض الجسدية[2] .

و يفضح مخططات الأعداء وما يجري من صراعات فكرية : يقودها أعداء الإسلام من ملاحدة ومبشرين ومستشرقين ، قد اتخذوا من النسخ في الشريعة الإسلامية أسلحة مسمومة طعنوا بها في صدر الدين الحنيف ، ونالوا من قدسية القرآن الكريم ولقد أحكموا شراك شبهاتهم واجتهدوا في ترويج مطاعنهم حتى سحروا عقول بعض المنتسبين إلى العلم والدين من المسلمين فجحدوا وقوع النسخ[3].

فهذه بعض المظاهر والصور والإشارات التي تثبت أن الإمام الزرقاني كانت له روح التجديد لعلوم القرآن وكان له سبق في عرض مباحثه بأسلوب جديد ، لغة جديدة ، كان واقع الأمة في أمس الحاجة إليها.

الخاتمة :

في نهاية هذه المداخلة يمكن التّطلع إلى النتائج التالية :

1- يُعَّدُ الإمام الزرقاني من الأعلام الذين ألفوا في علوم القرآن في العصر الحديث ، حيث حظيَ كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن شهرةً وقبولاً عند الطلاب والباحثين لم تعط لأحد بعد كتابي البرهان للزركشي والإتقان للسيوطي .

---

[1] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 2/ 8 .

[2] – الزرقاني ، مناهل العرفان : 2/ 298 .

[3] - الزرقاني ، مناهل العرفان : 194/2 .

2- تجلّت في مناهل العرفان للزرقاني مظاهر للتجديد في علوم القرآن تمثلت خاصة في أسلوبه المشوق ولغته السهلة اليسيرة وحسن ترتيبه للموضوعات والمباحث .

3- تميّز أسلوب الإمام الزرقاني في التعامل مع مباحث الكتاب بلغة يغلب عليها العاطفة الإيمانية ، والوظيفة الدعوية ، وربما سبب ذلك لأنه كان من الخطباء والوعاظ ، وربما قصد ذلك حتى يصل دفاعه عن القرآن لكل الفئات والمستويات ، في زمن كانت حملات على القرآن والإسلام شديدة ، وقد نجح في ذلك.

4- كما كان منه إبداعٌ وتجديدٌ في منهج تعليم علوم القرآن فقد تميّز بدفاعه عن القرآن من خلال دفاعه ومناصرته لكل ما يتعلق بالقرآن وعلومه ، ومزجه بين العلم والإيمان ، كما أنه ربط علوم القرآن بواقع الناس في زمن كانت ثورة علمية واختراعات ، ومعارك فكرية طاحنة تنال من الإسلام وأهله .

5- انتصب الإمام الزرقاني للدفاع عن القرآن وعلومه ، وسخر قلمه وقلبه للوقوف ضد الطاعنين في القرآن والمرجفين في الحق ، وتحدى كل المستشرقين من أصحاب الأهواء والشبهات .

قائمة المراجع والمصادر

القرآن الكريم :

1. ابن الجوزي ، فنون الأفنان في عيون علوم القرآن ، حققه حسن ضياء عتر ، دار البشائر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، السنة : 1987م .
2. ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، السنة : 1972م .
3. ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، سنة 1414 هـ .
4. أبو عبد الله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، حققه وخرجه وعلّق عليه مجموعة من الأساتذة دار الرسالة العالمية ، الطبعة الأولى ، السنة : 2018م .
5. أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ، الطبعة الأولى ، السنة : 2008م.
6. أسامة الأزهري ، جمهرة أعلام الأزهر ، مكتبة الإسكندرية ، مصر ، طبعة سنة 1440- 2019 (دون ذكر عدد الطبعة) .
7. حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، تحقيق إكمال إحسان الدين أغلو ، دار إحياء التراث ، بيروت لبنان ، طبعة سنة 1941 م ، (دون ذكر عدد الطبعة) .

8. خالد بن عثمان السبت ، مناهل العرفان للزرقاني دراسة وتقويم ، دار ابن عفان للطبع والنشر ، (دون ذكر عدد الطبعة وتاريخها) .
9. الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، الطبعة 15 ، السنة : 2002 م .
10. صحيح مسلم .
11. عدنان محمد أمامة ، التجديد في الفكر الإسلامي ، دار ابن الجوزي ، بيروت ، الطبعة الأولى ،السنة 1424 هـ .
12. العظيم آبادي ، عون المعبود شرح سنن أبي داوود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية السنة : 1415 هـ
13. فهد الرومي ، دراسات في علوم القرآن ، الطبعة 12 ، السنة : 2003 م .
14. مجموعة من المؤلفين ، المعجم الوسيط ، دار الفكر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، السنة : 1972م .
15. محمد بكر إسماعيل ، دراسات في علوم القرآن ، دار المنار ، الطبعة الثانية ، السنة : 1999م.
16. محمد حسن محمد بستان ، تقويم أساليب تعليم القرآن الكريم وعلومه في وسائل الإعلام ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف المدينة المنورة (دون ذكر عدد الطبعة وتاريخها) .
17. محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، حققه واعنى به فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي بيروت ، الطبعة الثالثة السنة : 1999م .
18. محمد عبد العظيم الزرقاني رسالة في الوعظ والإرشاد وطرقهما ، تخريج وتعليق عبد القادر محمد المهدي ، مكتبة الكويت الوطنية ، دولة الكتب ، الطبعة الأولى ، سنة 1433 هـ .
19. مرضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المختصين ، دار الهداية الكويت ، السنة : 2001م.
20. مساعد الطيار ، المحرر في علوم القرآن ، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي ، الطبعة الثانية ، السنة : 2008 م
21. المناوي ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر ، الطبعة الأولى ، السنة : 1356هـ .
22. نبيل آل إسماعيل ، العناية بالقرآن وعلومه من بداية القرن الرابع الهجري إلى عصرنا ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، (دون ذكر عدد الطبعة وتاريخها) ..
23. نور الدين عتر ، علوم القرآن ، مطبعة الصباح ، دمشق ، الطبعة الأولى ، السنة : 1993 م.
24. النووي ، المـــــنهاج (شرح صحيح مسلم بن حجاج) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، السنة : 1392 هـ .

الرسائل العلمية :

25. الـــــطاهر شرقي ، اختيارات الزرقاني وترجيحاته في علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن (الجزء الأول) ، ماستر في التفسير وعلوم القرآن ، ، معهد العلوم الإسلامية بجامعة حمة لخضر بالوادي سنة : 2015م- 2016م.

26. زينة مرغني ، اختيارات الزرقاني وترجيحاته في علوم القرآن من خلال كتابه مناهل العرفان في علوم القرآن (الجزء الثاني) ماستر في التفسير وعلوم القرآن ، معهد العلوم الإسلامية بجامعة حمة لخضر بالوادي ، سنة 2016م- 2017م .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الدكتور إبراهيم بودوخة

أستاذ محاضر / ب بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

أستاذ مكلف بالقراءات والتجويد وعلوم القرآن .

يوم الثلاثاء 13/ 01/ 206